نظرية الصدق في الفلسفة البراجماتية–وليم جيمس أنموذجاً

م. مروان علي حسين أمين
كلية التربية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

امتازت الفلسفات المعاصرة في مطلع القرن العشرين بتنوع اتجاهاتها الفلسفية، ولعلَّ من أهم هذه الاتجاهات هو الاتجاه البراجماتي. من هنا انصب هذا البحث المتواضع لتسليط الضوء على هذا الاتجاه متمثلاً بثاني رموزها (وليم جيمس) بعد مؤسسها (بيرس)، ودفعني في ذلك عدّة أمور، منها الحضور الطاغي الذي تشكّله البراجماتية منذ تأسيسها ولحد الآن، وعلى جميع الأصعدة (اللغوية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والمعرفية)، فضلاً عن أنها قامت بخطوة ذكية تجاوزت فيها الفلسفات المعاصرة التي شنت هجوماً على الميتافيزيقا بآليات مختلفة بحيث أقصتها عن البحث والتحليل وأهمية وأنشأت تياراً إلحاديا، فإن البراجماتية وبخطوة ذكية اتسمت بالمرونة الواسعة قد هاجمت الميتافيزيقا من جانب ومن جانب قد شملتها، مما يبدو تناقضاً في الظاهر، إلا أن هذا التناقض يزول إذا عرفنا ما يرمي إليه البراجماتيون ولا سيما وليم جيمس، فهم هاجموا الطريقة والأسلوب للفلاسفة السابقين واهتماماتهم، وحولوا الفلسفة إلى ناحيةٍ ثانيةٍ ووجهةٍ ثانية. ومع هذا البحث سيتضح المراد من ذلك كله. وسلّط البحث على قضيةٍ هامةٍ من قضايا البراجماتية، ألا وهي قضية المعنى والصدق، بوصفها الثيمة الرئيسة للبراجماتيين بصورة عامة وعند جيمس بصورة خاصة. من هنا لا غرابة أن وسمت نظرية جيمس في الأدبيات الفلسفية أنها نظرية في المعنى.

قسّم البحث إلى تمهيدٍ تناولنا فيه السيرة الذاتية والفكرية لوليم جيمس، وإلى ثلاثة مباحث، كان الأول يبحث في الجذور والنشأة ، والمبحث الثاني سلط الضوء على نظرية المعرفة عند جيمس (شاملةً للحقيقة والمعنى والصدق)، أما المبحث الأخير فقد تناولنا فيه جملة من الاعتراضات والإشكاليات التي وجهت للبراجماتيين وحاولنا أن نناقش هذه الاعتراضات. وخاتمةً عرضنا فيها أهم ما جاء في البحث ومثلت أهم خصائص البراجماتية.

تمهيد: السيرة الذاتية لوليم جيمس (William James)

فيلسوف أمريكي ولد في ١١ كانون الثاني ١٨٤٢م في نيويورك، ومات في ٢٦ آب ١٩١٠ [١]، وهو الأخ البكر للروائي هنري جيمس القصصي الشهير والناقد صاحب التأثير في النقد الإنكليزي بعامة.[٢]

وكان والده في دراسته الوسطى من حياته طالباً للاهوت في معهد برنستون الديني، بيد أن هذه الفترة تركت في نفسه اشمئزازاً شديداً من رجال الدين، عبّر عنه طوال حياته، ثم أنه عاش متجولاً في أنحاء أوربا.[٣] نشأ وليم جيمس في بيئة مثقفة، فوالده ينتمي إلى ذلك الرعيل الأول من الحكماء الذين تكتنفهم هالة من غموض، والذين كانت تزخر بهم أمريكا في مستهل نشأتها.[٤]

ومن الجدير بالذكر أن أسرة جيمس تنحدر من الأسر الايرلندية المهاجرة، أصابت حظاً من الثراء، وأمضى طفولته مثل أخيه في سفر متواصل عبر أوربا مع ذويه.[٥] وكان لهذا كله أثره في نشأته وتكوينه. فقد ورث عن أبيه اهتمامه العميق بالقيم الأخلاقية والروحية.[٦] ومن هنا نلاحظ أثر ذلك في فلسفته التي كان للدين والإيمان حظاً أوفر من أقرانه البراجماتيين.

وينعكس كذلك أثر كثرة سفر الأب على وليم جيمس، فكثيرا ما عانى جيمس الاضطراب في تعليمه وثقافته، ومع ذلك فقد اجتمعت له ثقافة واسعة محيطة بفضل مجهوده في القراءة وشغفه بالبحث. وقد التقت في شخصيته خصال الفنان وصفات العالم المتدين، وانصهرت جميعها في بوتقة فكره، فتمخض عنها فيلسوف عميق النظرة جديد الفكرة.(٧)

وفي سنة ١٨٧٢م بدأ جيمس في هارفارد مهنته التدريسية التي سيواصلها إلى آخر حياته، حيث كان مدرساً للفيسيولوجيا.(٨) وظل يحاضر طلابه أربعة أعوام، بيد أن شغفه كان متجها إلى التعمق في أسرار النفس وكشف حجبها والوقوف على طاقاتها وإمكاناتها، فلذلك سرعان ما انصرف إلى علم النفس. ولكنه أقبل عليه من طريق جديد هو طريق العلم التجريبي، وعلى يدي وليم جيمس لم يعد علم النفس علماً فلسفياً أو علم الفلسفة العقلية، بل غدا علماً تجريبياً.(٩) وعلى ضوء ذلك صدرت رائعة وليم جيمس، أعني كتابه "أصول علم النفس" وهو كتاب ضخم صدر سنة ١٨٩١م في مجلدين كبيرين، وكان هذا الكتاب فتحاً جديداً في ميدان الدراسات النفسانية.(١٠)

وأثره في علم النفس أنه ينكر على مذهب الترابط أو التداعي تأليف الوجدان من ظواهر منفصلة، وبيّن أن الظواهر الوجدانية تجري في تيار متصل. وأن الوجدان شيء يمتنع ردّه إلى الظواهر الفيزيقية أو الفسيولوجية، وأن الدماغ آلة نقل تتصل بالجسم كقوى وجدانية مباينة للقوى الجسمية، وتوصل جيمس إلى أن أهم قانون في علم النفس هو قانون المنفعة، فإن أفعالنا التلقائية مرتبة بالطبع لخيرنا.(١١)

ومع أن جيمس كان أول من أنشأ معملاً تجريبياً لعلم النفس في أمريكا، إلا أنه سئم العمل في المعمل، وأحس أنه لا يوائم طبيعته ولا يلائم مزاجه، وقد ادرك جيمس أن علم النفس يبدو موضوعاً ضامراً نحيلاً أمام مشكلات الفلسفة والدين. من هنا اتجه إلى البحث في طبيعة الله ووجوده، وخلود النفس وحرية الإرادة وقيم الحياة.(١٢)

ومؤلفات جيمس الرئيسة هي(١٣): مبادئ (أصول) علم النفس ١٨٩٠م، وكتاب علم النفس ١٨٩٢م، وإرادة الاعتقاد ١٨٩٧م، ووجوه التجربة الدينية أو (أنواع من التجربة الدينية) ١٩٠٢م، والبراجماتية (الذرائعية) ١٩٠٧م، وكون متكثر أو (عالم متعدد) ١٩٠٩م، ومعنى الحقيقة ١٩٠٩م، وبعد وفاته بعام واحد نشر له كتاب بعض مسائل الفلسفة أو (بعض مشكلات الفلسفة) ١٩١١م، ونشر أيضا بعد وفاته سنة ١٩١٢م مقالات في المذهب التجريبي المتطرف. (١٤)

المبحث الأول: البراجماتية "الجذور والنشأة":

البراجماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني براغما (pragma) ومعناه العمل.(١٥) وهي مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة.(١٦)

ونشأت في أمريكا في مطلع القرن العشرين على يد ثلاثة من أعلام المفكرين هم تشارلز ساندرز بيرس (ت ١٩١٤) ووليم جيمس وجون ديوي (ت ١٩٥٢). (١٧) وسنحاول أن نبحث هنا عن جذور هذه الفلسفة في الفلسفات السابقة.

اتبعت البراجماتية الطريق الذي رسمه كانط عندما قال إننا نصنع معرفتنا، وإن كان البراجماتيون قد جعلوا لفكرة صنع المعرفة أو خلقها معنىً بعيد الاختلاف عن المعنى الذي حدّده كانط. (١٨)

يمكن القول إننا نتلمس جذورها عند السفسطائيين وخصوصاً عند بروتاجوراس الذي ذكر أن الإنسان مقياس كل شيء، ولقد اعترف نيتشه، الذي كان قريباً جداً من البراجماتية، كما اعترف البراجماتي الإنجليزي شيلر بأن بروتاجوراس كان من الرواد المهمين الذين مهدوا لها.[١٩] وهذه النقطة سنرجع إليها عند مناقشة الإشكالات التي توجهت إلى البراجماتية.

ومحاولة البراجماتيين في مسألة الدين والإيمان شبيهة بمحاولة كانط في العقل العملي، وفي تمجيد شوبنهور للإرادة، وعند برجسون، لإنقاذ الدين والإيمان من آلية المذهب المادي.[٢٠]

كذلك نجد تأثيراً لعلم البيولوجيا والسيكولوجيا، حيث إن من بين التعاليم التي جاءت بها الداروينيّة في البيولوجيا القول بوجود شيء يدعى الصراع من أجل البقاء والقول بقيام الأجزاء العضوية في الكائنات الحية بدور هام في هذا الصراع، ومعنى حدوث ارتقاء للعقل هو وجود فائدة له، وبذلك أصبحنا قريبين من الفكرة القائلة بوجود صلة وثيقة بين الحقيقة والنفع.[٢١]

ومن جهة أخرى، أفادت السيكولوجيا بأن كل شيء في العقل يهدف إلى غاية كما ذكر جيمس في كتاب مبادئ علم النفس: كلّ حادثة عقلية غائية، والعقل يتجه دائماً إلى المستقبل.[٢٢]

ومما ساعد على تقدم البراجماتية أيضاً، الأهمية التي نسبت إلى الزمان، الذي ازداد تأكيد قيمته منذ عهد دارون وهيجل، وأن برجماتية ديوي قد تكون مستمدة من البحث فيما تصادفه الأشياء من نمو وتطور كما تصورها هيجل. ولكن على الرغم من أن هيجل قد ذكر أن المستقبل هو أهم مظهر من مظاهر الزمان، إلا أن هذه الفكرة قد برزت في النظريات البراجماتية أكثر من بروزها عند هيجل، وتحققت لها أهمية عظمى.[٢٣]

كذلك هناك فكرة أخرى قد تفسر سر تقدّم البراجماتية، وهي فكرة القيمة، وخصوصاً عند أصحاب مذهب المنفعة. من هنا عرّف الفيلسوف الفرنسي رينيه برتيلوه البراجماتية بأنها رومانتيكية نفعية؛ وسبب وصفها بالرومانتيكية فيمكن إدراكه من تأكيدها، أي البراجماتية، لمعنى الوحدة العضوية ومن نزعتها الحيوية، وكذلك من تأكيدها للطابع الدينامي في الأشياء وفي تأكيدها لقيمة المخاطرة والمصادفة والتعرض للخطر خصوصاً عند وليم جيمس.[٢٤]

ولكن في الواقع هناك اختلاف بين البراجماتيين ومذهب المنفعة، ويمكننا أن نرجع إلى ديوي الذي انتقد المذهب النفعي الذي يعتقد بالتطابق بين العمل والنتيجة، متمسكاً بعنصري اللذة والألم، بحيث يحكم على الفعل وهو منعزل عن الشخصية على أساس النتائج المحددة، فيبقي على ثنائية الشخصية والسلوك، متناسياً عامل الزمن والتغيير؛ حيث أنهما وثيقا الصلة بالأخلاق.[٢٥]

على أننا لا ننكر الأثر المهم الذي خلفته البيئة التي عاش بها أعلام هذه الفلسفة وبالتالي نشوء فكرة البراجماتية. حتى أصبحت البراجماتية طابعاً يميّز التفكير الأمريكي، فيكون أحدهما دالاً على الآخر، فإن قيل "فكر أمريكي" وثب إلى الأذهان صفته البراجماتية، وإن قيل "فلسفة براجماتية" ورد على الخاطر معها الفكر الأمريكي.[٢٦]

وساعد على هذا الارتباط بين الموصوف وصفته، فضلاً عن أنها فلسفة نشأت في أمريكا وتعهدها أعلام من أبناء تلك البلاد، أنها كذلك جاءت صورة تصوّر وجهة الثقافة الاجتماعية هناك؛ إذ أن مكانة الفرد في المجتمع لا يحددها جاه أو ثروة، بقدر أن يكون المقياس هو ما أنتجه الفرد، فالأساس هو العمل.[٢٧]

نعم للبيئة الأمريكية خصائص وميزات، فالأمريكيون يغرمون بالعلم والتفكير والبحث وراء القضايا والنظريات العلمية. ومع أن هذا الأمر مشترك تقريبا بين الشعوب الحيّة المتمدنة القويّة، ولكن الأمريكيين يتميزون عن سواهم بغرامة التطبيق. فما من نظرية علمية، فلكية أو طبيعية إلا وتجد من يريد منهم أن يطبقها في الواقع وفي الاختبار، فهم يفتتنون بالنتائج الواقعية للأشياء. (٢٨)

ومن مميزاتهم أيضاً حب المجازفة والاشتهار بالمخاطر، ولا يعني ذلك الشجاعة، بل حب المجازة والمخاطرة لمجرد الرغبة في مشاهدة النتائج العملية التي تترتب على هذه المخاطرة، وربما ذلك عائد إلى قوة حيويتهم وإلى تدفق الحياة فيهم وفيضها. ومن كلامهم المأثور الشائع "الحياة نفسها مجازفة ومخاطرة".(٢٩)

ولكن مع ذلك يمكن القول أن المصدر الرئيس للبراجماتية هو مناهج البحث العلمي؛ ذلك لأن العلم، من حيث نظرته إلى "الحقيقة" هو برجماتي بطبعه؛ فبعد أن يصوغ العالم فكره لتفسير الوقائع المراد بحثها، يكون المعيار المألوف الذي يتخذه للتحقق من ذلك الفرض هو تصميم تجربة نقدية تؤدي إلى نتيجة قاطعة تنتهي بـ"نعم أو لا"، وفي استطاعة الباحث أن يتنبأ بالنتائج التي يتوقع من التجربة أن تسفر عنها (إذا كان الفرض صحيحاً)، وإذن فالبناء الكامل للعلم يُبنى على القدرة على النجاح العملي، فالفرض الذي ينجح أو يسفر عن نتائج هو الذي يقبل بوصفه حقيقة. (٣٠)

صحيح أن أحد روافد البراجماتية هو الاتجاه العلمي التجريبي(٣١)، ولكن يحسن بنا هنا أن نفرق بينهما؛ فالوجهة السائدة عند التجريبيين ولا سيما فلاسفة الإنجليز أمثال بيكن ولوك وباركلي وهيوم ومل، هي الاعتماد على الخبرة الحسية، أي على التجربة كما تأتي بها الحواس مما تشاهده وتتأثر به، ولكن الجديد عند البراجماتيين هو في استبدال النظر إلى المستقبل بدلاً من الماضي؛ فالتجريبية الإنجليزية تلتفت إلى الوراء (الماضي)؛ باعتبار أن الفيلسوف التجريبي عندما أراد تحليل المعرفة الإنسانية، شغل نفسه بردها إلى أصولها، وبالنظر في كيفية اتصالها بتلك الأصول. فراح يحلل العلاقة بين الأشياء الخارجية وما تطبعه على حواسنا من آثار وبين حصيلتنا من المعرفة التي تنشأ عن ذلك.(٣٢)

أما البراجماتية فتنظر إلى الأمام (المستقبل)، نعم هي تربط معارفنا بعالم التجربة ولكن ليس من حيث النشأة، بل من حيث النتائج، فدائماً ترى البراجماتي يسأل نفسه: ما النتائج المترتبة على هذه الفكرة في عالم الواقع؟(٣٣)

هذا بالنسبة إلى الجذور والروافد، أما بالنسبة إلى نشأة البراجماتية، فمن سنة ١٨٧١م إلى سنة ١٨٧٦م، في فترة كان فيها الفلاسفة في أمريكا أكثر ندرة من الثعابين في النروج كان يجتمع بانتظام في كامبردج (ماساشوستس) قريباً من جامعة هارفارد، نادٍ صغير من المفكرين (فلاسفة ونفسانيون وحقوقيون ومناطقة) يناقشون فيه موضوعات فلسفية وأخلاقية وسياسية وقضايا علمية، يوجد من بين أعضاء هذه الجماعة الصغيرة، شارل ساندرس بيرس (١٨٣٩-١٩١٤) وهو عالم منطق وفيزيائي يشتغل في معهد مسح الأراضي.(٣٤)

النقطة المشتركة بين أعضاء هذه الجماعة التي يسمونها في شيء من السخرية "النادي الميتافيزيقي" هي بالضبط نقدهم للفكر الميتافيزيقي، أي فلسفة تأملية تزعم امتلاك الحقيقة النهائية، وفي نصٍ بعنوان "كيف تترسخ معتقداتنا" يعرض بيرس للمرة الأولى مبادئ البراجماتية.

فأفكارنا ليست حقائق كونية، بل هي أدوات موجهة لحل مشاكل علمية، وفي مقال "كيف نجعل أفكارنا واحدة" الذي نشر بعد سنة يستخلص بيرس من نظرته للمعرفة خلاصة منهجية مهمة هي، لا يمكن للأفكار أن تتقدم إلا إذا اتخذت شكلاً عملياً بالإمكان إخضاعه للتجربة، وقيادة الفعل.[٣٥]

على أساس هذا المقال (How to make our ideas clear) الذي نشرة بيرس سنة ١٨٧٨م في المجلة الفلسفية (Popular Scince Monthly)[٣٦] يعتبر بيرس أول من صاغ هذا الاصطلاح (Pragmatism).[٣٧]

وإن كان برتراند رسل يتحفظ على هذا الرأي؛ باعتبار أن البراجماتية المعاصرة لا تنبثق من بيرس بل من اعتقاد وليم جيمس أن بيرس كان يقوله، ويرجع ظهور هذا الخلط عند جيمس إلى عدة أسباب منها ، أن آراء بيرس ازدادت وضوحاً في كتاباته المتأخرة، على حين أن جيمس استمد نقطة انطلاقه من صياغات مبكرة كانت عرضة لمزيد من سوء الفهم.[٣٨]

صحيح أن البراجماتية ارتبطت بجيمس أكثر من ارتباطها ببيرس، ولكن هذا الارتباط راجع إلى شهرة وليم جيمس وأسلوبه كمحاضر وكاتب واهتمامه الواضح بمشكلات عامة سرعان ما جعلته محط أنظار الجمهور، بينما نجد بيرس أبان حياته أقل شهرة وتقديراً كفيلسوف. ولا يعني هذا الأمر أن جيمس هو مؤسس البراجماتية أبداً، فجيمس وديوي يقران بأنهما مدينان لبيرس.[٣٩] نعم إن الأساس يرجع لبيرس، إلا أن جيمس هو من قام بالتفصيل وجعل هذا الأساس في نظام فلسفي ونشره، مما جعل شهرة البراجماتية ترتبط بجيمس.

ومن هنا يتضح الفرق بينهما فجيمس لم يكتف بأن الفكرة هي خطوة تمهيدية للعمل، ولإحداث النتائج في هذا العالم المحسوس، بل رأى كل عقيدة تؤدي إلى نتيجة مرضية أو حسنة، إنما هي عقيدة حقيقية، فليست الفكرة مشروعاً للعمل فقط، وإنما العمل أو النتائج هي الدليل على صحة الفكرة. وبهذا أخرجنا من معنى الفكرة أو مدلولها إلى عالم الحقائق، فأصبح العمل أو النتائج التي سترتب على الفكرة برهاناً على صحة الفكرة بعد أن كان معنى لها.[٤٠]

وربما يرجع عدم شهرة بيرس إلى أنه لم يكن شعبياً في كتاباته، ولذلك فهو يعسر على القارئين ممن لم يأخذوا أنفسهم بفهم مصطلحاته التي خلقها لنفسه خلقاً ليبعد بألفاظه عن استعمالها في الحياة اليومية. فقد عُرف بيرس بالدقة في تفكيره وعباراته.[٤١] وسنقف على فرق آخر عند تكلمنا على نظرية المعرفة.

ومن هذه الاختلافات، ومما أضافه وليم جيمس على البراجماتية، حاول بيرس أن يتبرأ من البراجماتية التي نسبها جيمس إليه، لذا أصبح يطلق على فلسفته اسم البراجماتوية (Pragmaticiasm) آملاً أن يلفت هذا الفظ الثقيل الذي ابتكره أنظار الناس إلى الاختلاف بين الفلسفتين.[٤٢] بحيث أضاف حرفاً زائداً، وبعضهم يلفظها (البرجماطيقية).[٤٣]

ولا بأس هنا أن نتعرف وباختصار على الاختلاف بين رموز البراجماتية الأوائل، فكما تقدّم في بداية الحديث عن نشوء البراجماتية، رأينا أن بيرس أخذ بمبدأ أن معنى الاصطلاح أنما هو فيما يؤدي إليه من الأعمال، ثم زاد جيمس على هذا أن ما يؤدي إليه الاصطلاح من الأعمال إنما هو البرهان الحق على صدق هذا الاصطلاح (The Truth Of An idea)، وتوجه بالبراجماتية إلى هذه الناحية، ثم تبعها جون ديوي بنظريته في البراجماتية التي سماها الآلية أو (Instramentalism) وبهذا خطا بهذه الفلسفة

الخطوة الحاسمة التي قلبت النظم الفلسفية رأساً على عقب، كان العقل قبل ديوي أداة للمعرفة، ورأى ديوي أن العقل في الواقع ليس أداة للمعرفة وإنما هو أداة لتطور الحياة وتنميتها.(٤٤)

فآراء ديوي أقرب إلى الهيجلية والمذاهب التطورية، واعتقد في وجود تلقائية في التطور. وهناك براجماتية شيلر التي أسماها هو ذاته بالمذهب الإنساني، التي أكد فيها أننا نحن الذين نصنع الحقيقة، وأثبت شيلر وجود عامل اجتماعي في الحقيقة يظهر أثره فيما يحدث من اتفاق واتساق بين العقول المختلفة.(٤٥)

فمقياس الحقائق عند شيلر ليس في التطابق بين الاصطلاح أو الحكم وبين الأشياء الخارجية، وإنما هو خدمة الجنس البشري. فكل ما من شأنه أن يخدم الإنسانية في النهاية وإن يأخذ بيدها إلى الحياة المثلى إنما هو حق دون أي اعتبار آخر.(٤٦)

المبحث الثاني: نظرية المعرفة عند وليم جيمس:

لاشك عند ذوي الاختصاص في أن نظرية المعرفة تعنى بجملة من القضايا المعرفية أحدهما خاص بطرق المعرفة ووسائلها، والآخر يعالج حقيقة المعرفة.

البرجماتية لم تنكر إمكانية المعرفة، كيف وهي تقدّم لنا نظريةً معرفيةً تتعلق بالصدق. باعتبار أن محور اشتغال البراجماتيين المعرفي هو مسألة صواب الأحكام التي نجريها على الأشياء حولنا. بمعنى هل أحكامنا على الأشياء صائبة وكيف نتحقق من صوابها؟(٤٧)

من هنا نفهم توجه جيمس في تناوله لمشكلات الخير والجمال والمعرفة والوجود، لأنه أنطلق من قضية الحكم على الأشياء وصحة الحكم (The Truth of judgemeut). (٤٨)

والبرجماتية استطاعت وبذكاء أن تتجاوز أهم مشكلةٍ معرفيةٍ حار فيها الفلاسفة، وهي المشكلة القائمة بين الواقعيين والمثاليين حول طبائع الأشياء؛ فالواقعي يرى أن للشيء وجوداً مستقلاً خارج الإنسان سواء عرفه الإنسان أم لا، فهم يفرقون بين نوعين من الصفات الموجودة في الشيء، فهناك الصفات الأولية التي توجد في الشيء ذاته. بغض النظر عن وجود الذات المدركة لها (الشكل والحجم)، وهناك الصفات الثانوية كاللون والطعم التي تتكون عند من يدرك الشيء، بينما نرى المثالي لا يفرّق بين هذين النوعين من الصفات، ويجعلهما جميعاً من صنع العقل المدرك. (٤٩)

من هنا نشأ الخلاف الذي لم يحسم لحد الآن حول طبيعة الأشياء الخارجية، هل لها وجود مستقل عن إدراكنا؟ أم أنها متوقفة على إدراكنا لها؟

هذه القضايا التي أثارتها نظرية المعرفة قد اتخذت صورة جديدة بعد البراجماتية؛ باعتبار أن البرجماتية قد تجاوزت الكلام في الحقائق، حقائق الحس أو حقائق العقل، فهي لا تستعمل هذه المصطلحات. (٥٠) وتستخدم اصطلاح "حوادث (Events)" وتطلقها على كلا النوعين من الحقائق (الحسية- العقلية)؛ واستخدامها لهذا المصطلح لسببين(٥١):

الأول: أن العلم الحديث لم يعد يتكلم عن الحقائق كحقائق موضوعية لها وجود في ذاتها على حالة معينة، بل يرى العلم أن جميع هذه الحقائق لا تخلو من الزمن، فالزمن عنصر هام فيها، ومتى دخل عنصر الزمن في الأشياء أصبح من المعقول أنها تُسمى حوادث.

والثاني: أن البراجماتية تؤمن أن جميع هذه الأشياء أو الحقائق إنما هي جزء من الاختبار (Experience) وأن الخبرة والتعامل والمران مع هذه الأمور هي حقيقة هذه الأشياء فهي حوادث إذن.

فالبراجماتية تسأل عن نوع السلوك الذي يترتب على قول الواقعي، ونوع السلوك الذي يترتب على قول المثالي إزاء شيء معين. أي أن البراجماتية تبحث عن النتائج العملية (سواء كان المعتقد مثالي أم واقعي)، وعليه سيكون الاختلاف لا محل لهُ في الفلسفة البراجماتية، وسيبدو الرأيان (مثالي– واقعي) مختلفان لفظاً متحدان معنىً. (٥٢)

على ذلك يترتب أن إذا اتفقت عبارتان في اللفظ ثم ترتب على كل منهما عمل يختلف عن العمل الذي يترتب على الأخرى، كانتا مختلفتين في المعنى وإن اتحدتا في اللفظ.(٥٣)

من هنا نفهم أن البراجماتية ومن خلال جوهر نظريتها في المعنى والصدق وهي مسألة تتعلق بفلسفة اللغة فعلاً، وبخصوص قضية الإحالة وإحالة اللفظ إلى المعنى تستحق الوقوف عليها، ستتجاوز مشكلة رئيسة في نظرية المعرفة. ربما هذه هي إحدى ثمار البراجماتية. ومن هنا سندخل إلى قضية مركزية عند البراجماتيين وهي قضية المعنى أو الحقيقة لا سيما عند وليم جيمس، فنظرية جيمس هي نظرية المعنى. وسيجد جيمس لها تطبيقات عديدة في الفلسفة.

الحقيقة –المعنى:

من أهم النتائج المترتبة على الشكاك أنهم يعطلون القدرة العارفة في الوعي الفلسفي، وعليه سوف لا تكون هناك أي ثمرة لمحاولات الفلاسفة عبر التأريخ الذين يهدفون إلى تحديد معنى، وعدم البحث عن الأسس الراسخة في المعرفة يسلب الوعي الفلسفي أهم خصيصة لهُ ألا وهي اليقين. واليقين يتأسس على أنه يقين بالحقيقة، فموضوع اليقين هو الحقيقة، والوعي الفلسفي يصل حقائق ويقين عبر وسائل معرفية أهما البرهان.(٥٤)

ولكن المشكلة تتفاقم، لأن تنوع الحقائق وتكثرها يحول دون وجود حقيقة واحدة يجمع الفلاسفة بشكل خاص عليها. ولذلك حاول الفلاسفة تحديد الحقيقة بناءً على رؤيةٍ خاصةٍ لكل منهم. (٥٥)

وهناك عدة نظريات في الحقيقة(٥٦)، لعل أشهرها، هي نظرية التطابق، ومفادها أن العبارة أو القضية أو الحكم تكون حقيقة إذا كانت تطابق واقعاً موضوعياً ما بإزائها. (٥٧)

ولعل من أهم المآخذ على هذه النظرية، هو كيف نعرف أن العبارات الإخبارية المثالية قد فعلت ما يتعين عليها أن تفعل؟ أي ما الوسيلة أو المعيار لاختبار العبارات للتأكد من أنها تؤدي وظيفتها؟ بمعنى ما المعيار الذي يتم بموجبه تحديد واقعية أي عبارة أو قضية في سياق التطابق المزعوم؟ فالوقائع التي تعول عيها هذه النظرية قد لا تكون وقائع، وإنما مجرد مسلمات أو مصادرات أو فروض. (٥٨) ثم ما فائدة هذه النظرية في ميدان ليست فيه وقائع، بمعنى أشياء موجودة يمكن التحقق منها على نطاق واسع، مثل قضية المعجزات. أو مثلاً ميدان الرياضيات؛ باعتبار أن التفكير الرياضي ليست له علاقة وثيقة بالموقف الطبيعي. (٥٩) وستدخلنا نظرية التطابق بالتالي في الصراع بين المثاليين والواقعيين في تحديد وسائل إثبات هذا التطابق، والذي كما أشرنا إليه قبل صفحات أنه صراع مستمر لا نهاية لهُ.

النظرية الأخرى هي نظرية الترابط، وهي النظرية التي تتلاءم مع النظرية المثالية، ومفادها أن العبارة أو القضية تكون صحيحة إذا كانت تنسجم مع حقائق أخرى مقررة. وأفضل مثال على ذلك هو ميدان الرياضيات؛ فنسق الرياضيات استنباطي يبدأ من البديهيات والمصادرات، وما إن تؤخذ هذه البديهيات أو المسلمات على أنها صحيحة حتى يلزم عنها بقية النسق منطقياً. (٦٠)

ومن الردود على هذه النظرية، أن هذه النظرية لا تنطوي على حقيقة أطلاقاً، فكل ما لدينا في هذه الحالة هو اتساق منطقي (Logical consistency) الذي يستحسن أن يُسمى بالصواب الذي لا تربطه علاقة ضرورية بالواقع. (٦١)

وقضية خلود النفس لا تُتحل، لأننا إن أثبتنا خلودها من خلال مقدمات أو فروض مسبقة واستنتجنا ما نريد أن نثبته من أن النفس خالدة، سيكون هناك اتساق منطقي، ولكن إذا انطلق المقابل النافي لخلود النفس من مقدمات وفروض ثم استنتج منها نتيجته، أيضاً يكون عمله في اتساق منطقي.

فكلاهما صائب في اتساقه المنطقي، لكن أين الحقيقة؟! ربما نعرفها من خلال المطابقة مع الواقع. وسنرجع إلى المربع الأول الذي هربنا منه قبل قليل، في أن هناك قضايا لا واقع لها، وستبقى المشكلة قائمة. هنا تكمن أهمية براجماتية وليم جيمس التي عالج من خلالها هذه المشكلة.

إن التطابق بين الحكم والشيء في ظاهره حق لا غبار عليه، وأكيد يكون الحكم حقاً فيما لو انطبق على حقيقة الأشياء (لأنه تحصيل حاصل)، ولكن النقطة التي سيلفت نظرنا إليها البراجماتيون هو النزاع في نفس التطابق، بمعنى هل ينطبق أم لا ينطبق أو كيف ينطبق على حقيقة الأشياء؟(٦٢)

ويرى البراجماتيون أن مشكلة الفلسفة التقليدية أنها تجعل من الفكر مجرد نسخة من الواقع ومن الحقيقة مجرد علاقة جامدة ساكنة، بينما الفكر في جوهره مرتبط بالفعل بالعمل، ولهذا ينبغي أن نعرف الحقيقة بواسطة نتائجها العملية، فالحق هو ما ينجح وهو المفيد وهو النافع. (٦٣)

من هذا التقدم أنطلق وليم جيمس في طرح أهم إشكالاته، يقول: إذا سلمنا بأن فكرةً أو معتقد صحيح، فما هو الفرق بين الملموس الذي يحدثه كونه صحيحاً في الحياة الواقعية لأي شخص؟ كيف تتحقق الحقيقة؟ ما الخبرات التي تكون مختلفة عن تلك التي تحدث إذا كان المعتقد زائفاً وباطلاً؟ وباختصار ما القيمة الفورية للحق، اختبارياً وتجريبياً وممارسةً؟.(٦٤)

والملفت للنظر أن جيمس يضع تعريفين للحقيقة، التعريف الأول، النظرية الحقة هي النظرية التي تقودنا إلى توقع النتائج التي نلاحظ حدوثها الفعلي، أنني أعرف حقاً موضوعاً من الموضوعات عندما أقوم فعلاً أو عندما يكون في استطاعتي أن أقوم بسلسة العمليات التي ستقودني من تجربتي الراهنة إلى تجربة تضعني في حضرة الموضوع. (٦٥)

يضع جيمس من جهة أخرى، تعريفاً للحقيقة مباينا، هو أن القضية تكون حقة إذا كان تصديقنا لها يؤتي نتائج مُرضية، أي ملبية لجميع حاجات الفرد الإنساني.

إن هذين المعنيين للحقيقة "ذرائعيان" من حيث أنهما يُعّرفان الحقيقة بأنها إجراء عملي؛ لكن الأول يعطي للحقيقة قيمة موضوعية؛ باعتبار أنه يحيلنا إلى الإدراك المباشر للموضوع، بينما يعطي الثاني للحقيقة قيمة حيوية، باعتبارها اعتقاداً ملهماً للأعمال. (٦٦)

وهذان التعريفان يُعّبران عن شخصية جيمس، فجيمس ينطوي في صميمه على شخصين من جهة أولى هو عالم تجريبي وتلميذ أغاسيز العالم بالحيوان في جامعة هارفرد الذي كان يعلمه " يمم وجهك شطر الطبيعة، خذ الوقائع بين يديك بالذات"، ومن جهة ثانية هو ابن هنري جيمس الصوفي. (٦٧) وهذان التعريفان يمكن جمعهما في التجربة العملية، إلا أنها تجربة ليست ضيقة ومحدودة، بل هي من الشمول

تسع كل الحوادث سواءً الحوادث الطبيعية أم النفسية والروحية.. وبذلك ستحل لنا هذه النظرة مشاكل ما كانت ستحل لو أننا حددنا أنفسنا في زاوية معرفية ضيقة، أكانت مثالية أم طبيعة.

ويتوسع جيمس في فهم ما هو مفيد أو ناجح إلى: [٦٨]

أ- في ميدان التجربة الفيزيائية: المفيد هو ما يمكن من التنبؤ ومن العمل والإنتاج.

ب- وفي ميدان التجربة النفسانية أو العقلية، هو ما هو مفيد للفكر، وما يزودنا بالشعور بالمعقولية، وهو شعور بالراحة والسلام.

ت- وفي ميدان التجربة الدينية: يكون الاعتقاد حقاً إذا نجح روحياً، أي إذا حقق للنفس الطمأنينة والسلوى. وأعاننا على تحمل تجارب الحياة وسما بنا فوق أنفسنا.

فليس المهم هو عند جيمس هو إعطاء نسخة عن الواقع وإن كان ذلك مهماً، بل المهم هو أن نجد في الفكرة دليلاً للتحرك في وسط الواقع. هذه هي نظرية جيمس في الحقيقة والمعنى والصدق.

المبحث الثالث: الاعتراضات الموجّهة للبراجماتية:

في الحقيقة وجهت اعتراضات عدّة على البراجماتية، منذ نشأتها ولحد الآن، بعض هذه الاعتراضات ناجمة عن سوء فهم للبراجماتية، ومع ذلك فقد اشتهرت بين الخافقين، وأحببت أن أعرضها وأناقشها، وبعض الردود كان يملك من القيمة العلمية الحظ الوفير، ولا بأس في عرضها إتماماً للفائدة المتوخاة.

وعلى كل حال فهذه فضيلة تحسب للبراجماتية بغض النظر عن صحة أقوالها وبغض النظر عن صحة الردود؛ إذ أن الفلسفة الحية والفكر العميق والوعي الفلسفي سمتها تحرك الأذهان والأفهام، وتزعزع المرتكزات والثوابت. وتجلي ما غمض من أفكار وهذا ما فعلته البراجماتية. ويكفي البراجماتية فخراً أنها فلسفة أثبتت نفسها وبقيت إلى الآن لها حضورها الفاعل في اغلب ميادين الحياة، ولم تبق حبيسة الكتب والرفوف أو حبيسة فترة زمنية كما هو الحال في فلسفات كثيرة.

من ضمن هذه الاعتراضات، هو أن أهم مبدأ تقوم عليه البراجماتية هو القطيعة مع الماضي، وعدم الالتفات إليه، وأن على البراجماتي أن يدير ظهره بكل عزم وتصميم وإلى غير رجعة لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة العزيزة على الفلاسفة المحترفين، وهذا الكلام يذكره صاحب الاعتراض (مراجعاً فيه مع كلام وليم جيمس في كتابه البراجماتية)، ويعتبره متناقضاً مع التأثيرات والمنطلقات الفلسفية التي صبت في البراجماتية. كأن هناك تناقضا بين الادعاء بالجدّة والحداثة، وبين تكرار أقوال فلاسفة قدماء [٦٩] وأي تناقض هذا، ووليم جيمس يصرح نفسه بأن البراجماتية اسم جديد لطريقة قديمة للتفكير، ويصرح أيضاً: لا يوجد أي شيء جديد على الإطلاق في الطريقة البراجماتية. [٧٠] ويقول إن البراجماتية تمثل اتجاهاً مألوفاً تماماً في الفلسفة إلا وهو الاتجاه التجريبي.

ولو راجع صاحب المقال كتاب جيمس نفسه، لما أورد هذا الاعتراض، أمّا ما ذكره من قول لوليم جيمس، فهو صحيح في سياقه، فجيمس يشير هنا وبذكاء إلى فرق البراجماتية عن التجريبية في المنهج والطريقة، وهذا ما بيناه في المبحث السابق، فلا نعيده.

وأغلب الاعتراضات انصبت على مقاربة البراجماتية للسوفسطائية والميكافلية[٧١] وتحقيق المنفعة والمصلحة والربح وأنها هي الدافع وراء كل عمل. وبصورة عامة كل ما يشكل على السوفسطائية او الماكيافلية يزيحوه على البراجماتية بنحوٍ وبآخر. ويمكن مناقشة هذا الرأي بجملة من الأمور:

١- صحيح أن نقطة الاتفاق بين البراجماتيين والسوفسطائيين هو في رد القيم إلى الإنسان، لكن البراجماتيين خالفوهم في جعل الإنسان وليس الفرد معيار هذه القيم. فقصدوا بهذه التجربة الإنسانية وهي تصطبغ بصبغة اجتماعية.

فضلاً عن أن البراجماتيين قد صنفوا المنافع فكان منها العليا ومنها الدنيا، وفي ضوء هذه التفرقة ميزوا بين قيم الأفعال وفق اختلافها فيما يترتب عليها من وجوه النفع. (٧٢)

فالبراجماتيون عموماً يقبلون القيم الدينية والأخلاقية ولكن لا على أساس صحتها المنطقية وإنما على أساس فائدتها العملية في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس، وما لها من أثر طيب في حياة الناس.

٢- أمّا بالنسبة لماكيافلي وأثره على البراجماتيين وخصوصاً في (الغاية تبرر الوسيلة). وأن إسقاط كل الماسي والحروب والسياسات الأمريكية على كاهل البراجماتية ومن ثم ماكيافلي الذي أسقطوه على (مجازر موسوليني وهتلر).

اعتقد أن هذه القراءة (سواء لماكيافلي او للبراجماتية) غير دقيقة، وتعبر عن وجهة نظر عامة الناس لا الطبقة المثقفة. فماكيافلي إن اقر بهذه القاعدة فهو أقرها ضمن سياق معين (سياسي) وتحت شروط محددة تتعلق بكيفية الوصول إلى السلطة، وفي بدايتها فقط، وكان هدفهُ إصلاح الأوضاع ووحد البلاد المجزأة وبالتالي إصلاح الدولة والمجتمع.

ثم من قال إن البراجماتيين هم المسؤولين عن كل ما يجري على الساحة السياسية الأمريكية، على العكس فهذه كتاباتهم تزخر بالأمور الأخلاقية والدينية وحتى الصوفية كما نجدها عند وليم جيمس رائد البراجماتية الشهير.

المشكلة تكمن حسب ما أظن هو في إعادة إنتاج النص وخلقه من جديد لجعله يتلاءم مع المصالح السياسية لا أكثر ولا أقل، فالعملية استغلال للأفكار وإنتاجها من جديد، وهذه المسألة إن ألقينا مساوئها على هذه المذاهب الفكرية، فلا بد أن يكون الدين هو المسؤول عن كثير من المآسي والحروب والاضطهادات التي مارسها الحكام على مر التاريخ وتحت اسم الدين. حتى نيتشه الذي ألصقت به التهم اللاأخلاقية، قد تنبأ شخصياً بتحريف أفكاره وتشويها.

من الاعتراضات المهمة، هو اعتراض جان ڤال، حيث قال في معرض رأي البراجماتيين في مقياس الحقائق هو النتائج، ألا تقتضي الضرورة في النهاية الرجوع إلى شيء لا ترجع قيمته إلى نتائجه، بل إلى قيمته في ذاته، فإذا اتصف الشيء بالخير، بفعل نتائجه وكانت هذه النتائج خيرة هي الأخرى بفعل نتائجها، فأننا سنتراجع إلى ما لا نهاية. (٧٣)

ويقصد أن القول بالنتائج سيلزم منهُ التسلسل إلى ما لا نهاية وهو محال. ويمكنني القول، أن مسألة (التسلسل ما لا نهاية) في (النتائج العملية) هو من الصعوبة بمكان أن يطبق، لأننا سنقف في النهاية عند الإنسان وتحقيق المنافع والمفيد له. والذي يشمل لأكبر عدد من الناس. فليس القضية قضية علّية ومعلولية حتى نتسلسل إلى ما لا نهاية في حالة فرضنا عدم وجود علة نهائية، فالبرجماتية علتها النهائية هي الإنسان.

ويعترض جان قال أيضاً أن قضية "الحقيقة فكر، تحقق شيئاً" تؤدي إلى خطر القضاء على فكرة الحقيقة ذاتها، فالحقيقة شيء وأثرها ومنفعتها شيء ثاني، وتوحيدهما سيؤدي إلى القضاء على فكرة الحقيقة ذاتها. [٧٤] وهذا الاعتراض ذكره السيد محمد باقر الصدر (قده) في فلسفتنا. [٧٥]

وهذا الأمر صحيح في أننا نشعر بأن الحق وأثره معنيان لا معنى واحد.

ولكن ألا يمكننا أن نتساءل في الواقع العملي أن الحق والمفيد أو النافع هما واحد، فكل ما هو حق هو نافع، وكل ما هو نافع (لعامة الناس) هو حق.

ومن اللطيف أن القرآن الكريم قد يفهم منهُ هذه الإشارة في الآية المباركة:

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ١٧﴾[٧٦]

اذن هناك علاقة بين كون الشيء باطل وبين عبثيته وعدم فائدته. والعكس صحيح. ربما يكون منشأ الاعتراضات على البراجماتيين الأوائل، هو تبسيطهم لمشكلة الحقيقة إلى حد الأفراط، وهو ما تلافته البراجماتية المتأخرة مستفادة من هذه الانتقادات، فهذبت نظريتها. [٧٧]

يمكن أن نشير إلى أهم رموز هذا الجيل الثاني وهم في المنطق كلارنس لويس (ت١٩٦٤) م، وفي السيمولوجيا شارل موريس (ت ١٩٧٩) م، وفي الفلسفة السياسية سيدني هوك (ت ١٩٨٩) م، والمهندس الأساسي لهذا التجديد هو ريتشارد رورتي (المولود ١٩٣١) الذي كان يدافع عن البراجماتية خصوصاً في مجالي السياسة والأخلاق. [٧٨]

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة السريعة والممتعة مع رائد البراجماتية وليم جيمس، يمكننا أن نصل إلى النتيجة التي تؤول إليها النظرة البراجماتية فيما يتصل بمعرفة الأشياء، فإلى جانب النظرة العامة بأن الأفكار أدوات مفيدة في تحقيق نتائج مرضية، يتوخى وليم جيمس أن يعرض علينا بعض مميزات البراجماتية، فالبراجماتية؛ لا تتخذ لفلسفتها دعامة من الميتافيزيقيا بغية بناء المعرفة على أساسها، طبعاً باستثناء إمكان التجربة. والبراجماتية في جوهرها منهج، فهي لا تحتم الوصول إلى نتائج معينة، بل ترشدنا إلى أن نستخلص من كل كلمة قيمتها العملية، ومحك صحة الفكرة أو بطلانها هي مدى فاعليتها في ميدان الحياة.

والبراجماتية لها الفضل الأكبر في أنها تفسر تنوع تجاربنا واختلافها وتعددها. وينقل لنا وليم جيمس مثالاً رائعاً (كما هو معروف في كتاباته التي اتسمت بجمال الأسلوب وقوة المعنى). ويوضح في المعنى البراجماتية أقتبسهُ من البراجماتي الإيطالي پاپيني الذي قال: إن البراجماتية تكمن في وسط نظرياتنا مثل الرواق (ممر) في فندق، فهو يفضي إلى عدد لا حصر لهُ من الغرف ويفتح عليها، ففي أحدها قد تجد رجلاً يكتب يسفراً في علم الجمال وفي الغرفة المجاورة لها قد تجد شخصاً ساجداً يدعو الله أن يهبه الإيمان والقوة، وفي الغرفة الثالثة تجد كيمائياً يبحث في خصائص أحد الأجسام، وفي غرفة رابعة تجد نظاماً من الميتافيزيقا. ولكن الرواق ملكهم جميعاً، والكل يحتاجه إذا أراد الدخول أو الخروج من غرفته.

البراجماتية فلسفة مغرمة بالتطبيق وبالمجازفة في ميدان الأفكار والآراء، ومغرمة بالنجاح والمنفعة، ولا بدّ من التنبيه من أن المنفعة في البراجماتية ليست بالمعنى المبتذل الرخيص الشائع على ألسنة الناس.

ومن فضائلها أنها أنزلت الأبحاث الفلسفية إلى مستوى تفكير الرجل العادي، فهي أصرت على أن لهذا الرجل الحق في المساهمة في هذا التفكير أولاً والاستفادة منه ثانياً. بعد أن كانت الفلسفة حكراً على طائفة معينة من الناس لا ينالها إلا ذو حظٍ عظيم.

ونستنتج من هذا اتصال وثيق بين العمل والفكر، فكان من طبيعة الانفصال بين الفلاسفة والناس أن يتطلق الفكر من العمل.

من فضائلها أن أنهت الخلاف بين المثاليين والواقعيين، الفلسفة الثنائية التي قسمت الكون إلى قسمين: المادة– الروح أو العقل–الجسم، فالبراجماتية ردت جميع هذه الأمور إلى الاختبار والتجربة، إنها تجربة اتسعت لتشمل حتى المؤمنين وغيرهم لا سيما مع جيمس.

الهوامش:

(١) طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، بيروت، دار الطليعة، ط٣، ٢٠٠٦م: ص٢٦٦.

(٢) بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ذوي القربى، ط١، ١٤٢٧هـ: ج١ ص٤٤٧.

(٣) أمضى هنري جيمس معظم حياته في الخارج، وتجنس الجنسية البريطانية، فكان له اتصال مستمر بالثقافة الأوربية. ينظر: بدوي، المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) الشنيطي، محمد فتحي، مقدمة ترجمته لكتاب وليم جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ط، د.ت: ص٧.

(٥) طرابيشي، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٦.

(٦) طرابيشي، مصدر سبق ذكره: ص٢٦٧.

(٧) الشنيطي، مصدر سبق ذكره: ص٧.

(٨) طرابيشي، مصدر سبق ذكره: ص٢٦٧.

(٩) الشنيطي، مصدر سبق ذكره: ص٨.

(١٠) الشنيطي، مصدر سبق ذكره: نفس الصفحة.

(١١) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة، دار آفاق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م: ص٣٧٥–٣٧٦

(١٢) الشنيطي، مصدر سبق ذكره: ص٨.

(١٣) برهييه، أميل، تاريخ الفلسفة، تر: جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٨٧م: مجلد الفلسفة الحديثة ص١٦٢..

(١٤) أمين، أحمد، ومحمود، زكي نجيب، قصة الفلسفة الحديثة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٤، ١٩٥٩م: ج٢ص١٢٣.

(١٥) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ذوي القربى، ط١، ١٣٨٥هـ: ج١ ص٢٠٣.

(١٦) صليبا، مصدر سبق ذكره: نفس الصفحة.

(١٧) الطويل، توفيق، أسس الفلسفة، القاهرة، دار النهضة، ط٤، ١٩٦٤م: ص٦٥.

(١٨) فال، جان، طريق الفيلسوف، تر: أحمد حمدي محمود، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٧م: ص٢٧٣.

(١٩) فال، جان، مصدر سبق ذكره: ص٢٧٤.

(٢٠) ديورانت، ول، قصة الفلسفة، تر: فتح الله محمد المشعشع، بيروت، شركة دار مكتبة المعارف–ناشرون، ط٢، ٢٠١٧م: ص٣٨٠.

(٢١) فال، جان، مصدر سبق ذكره: ص٢٧٤.

(٢٢) فال، جان، مصدر سبق ذكره: نفس الصفحة.

(٢٣) فال، جان، مصدر سبق ذكره: ص٢٧٦.

(٢٤) فال، جان، مصدر سبق ذكره: ص٢٧٧.

(٢٥) ثامر، زروقي، الأخلاق عند جون ديوي، ضمن كتاب الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، مجموعة مؤلفين، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٣م: ص٢٤٩.

(٢٦) ربما يصدق هذا سابقاً، أما الآن فالفلسفة الانكلوسكسونية وفي مرحلة ما بعد الحداثة قد اتجهت اتجاهاً تحليلياً على موضوعات العقل والشعور والوعي والقصدية واللغة، أمثال جون سيرل وتشالمرز ونعوم تشومسكي.

(٢٧) محمود، زكي نجيب، حياة الفكر في العالم الجديد، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠١٣م: ص١٤٠-١٤١.

(٢٨) فام، يعقوب، البراجماتزم أو مذهب الذرائع، مصر، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٦م: ٢٩٣-٢٩٤.

(٢٩) فام، يعقوب، المصدر السابق، ص٢٩٥-٢٩٦. وينظر: ديورانت، مصدر سبق ذكره، ص٣٨٠.

(٣٠) هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، تر: فؤاد زكريا، مصر، مكتبة مصر، ١٩٦٩م: ص١٦٣-١٦٤.

(٣١) وهذا ما صرح به وليم جيمس نفسه في كتابه البراجماتية، ص٧٠، وذكر لوك وهيوم وبركلي.

(٣٢) محمود، زكي نجيب، مصدر سبق ذكره: ص١٤٣.

(٣٣) محمود، زكي نجيب، المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٣٤) دورتييه، جون، البراجماتية لأي شيء تصلح الأفكار، مقال ضمن كتاب فلسفات عصرنا، جان دورتييه، تر: إبراهيم صحراوي، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٩م: ص٣٦٦

(٣٥) دورتييه، جون، المصدر السابق: ص٣٦٧-٣٦٨..

(٣٦) برهييه، مصدر سبق ذكره: ص١٥٥.

(٣٧) جيمس، وليم، البراجماتية، تر: محمد علي العريان، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م: ص٦٥.

(٣٨) رسل، برتراند، حكمة الغرب، تر: فؤاد زكريا، الكويت، عالم المعرفة، ٢٠٠٩م: ص٢٠٤.

(٣٩) جيمس، مصدر سبق ذكره: ص٦٦. وينظر: كوبلستون، فردريك، تاريخ الفلسفة، تر: محمود سيد أحمد، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٩م: ج٨ ص٤٣٧-٤٣٨.

(٤٠) فام، يعقوب، مصدر سبق ذكره: ص١٥٠.

(٤١) محمود، زكي نجيب، مصدر سبق ذكره: ص١٤٦-١٤٧.

(٤٢) كوبلستون، مصدر سبق ذكره: ج٨ ص٤٣٩.

(٤٣) رسل، برتراند، مصدر سبق ذكره: ص٢٠٤.

(٤٤) فام، يعقوب، مصدر سبق ذكره: ص١٥٤-١٥٦.

(٤٥) فال، جان، مصدر سبق ذكره: ص٢٧٨.

(٤٦) فام، يعقوب، البراجماتزم: ص١٥٨.

(٤٧) فام، يعقوب، المصدر السابق: ص١٣٩.

(٤٨) فام، يعقوب، المصدر السابق: ص١٤١.

(٤٩) محمود، زكي نجيب، حياة الفكر في العالم الجديد: ص ١٥٥.

(٥٠) فام، يعقوب، البراجماتزم: ص ٢١٧.

(٥١) فام، يعقوب، المصدر السابق: ص ٢١٦.

(٥٢) محمود، زكي نجيب، حياة الفكر في العالم الجديد: ص١٥٥-١٥٦.

(٥٣) محمود، زكي نجيب، المصدر السابق: ص ١٥٤.

(٥٤) إسبر، علي محمد، ماهية الوعي الفلسفي، سوريا، دار التكوين، ط١، ٢٠١٠م: ص١٨٢.

(٥٥) هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ص ١٥٢.

(٥٦) كان حديثاً عن النظريات؛ لملائمة الموضوع مع موضوع البحث، فالبراجماتيون بحثوا في البرهان أو وسائل إثبات الحقيقة، أكثر من بحثهم عن منابع المعرفة.. وتتأكد هذه الحقيقة عند وليم جيمس كما تقدم في الفرق بينه وبين بيرس.

(٥٧) هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها: ص ١٥٣.

(٥٨) هنتر ميد، المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٥٩) هنتر ميد، المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦٠) هنتر ميد، المصدر السابق: ص١٥٨-١٥٩.

(٦١) هنتر ميد، المصدر السابق: ص ١٥٩.

(٦٢) فام، يعقوب، البراجماتزم: ص٢٣٥-٢٣٦.

(٦٣) بدوي، عبد الرحمن ، مدخل جديد إلى الفلسفة، انتشارات مدين، ط١، ١٤٢٨هـ: ص١٤٣-١٤٤.

(٦٤) جيمس، البراجماتية: ص ٢٣٦. ويمكن الرجوع إلى ص ٨ من البحث لمعرفة الإضافة التي أضافها جيمس إلى المعنى مفترقاً بها عن بيرس.

(٦٥) برهييه، تأريخ الفلسفة، الفلسفة الحديثة، ص١٥٦.

(٦٦) برهييه، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٦٧) برهييه، المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦٨) بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة: ص١٤٤.

(٦٩) العجيلي، منصور بن عبد العزيز، البراجماتية عرض ونقد، السعودية، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والفرق والمذاهب، ط٢، ١٤٣١هـ: ص٣١٠.

(٧٠) جيمس، البراجماتية: ص٧٠.

(٧١) ينظر: فضل الله، هادي، السفسطائية بين الوجودية والبراغماتية، بيروت، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٨م: ص٥٦، وما بعدها. كذلك ينظر: عادل، هبة: أثر المايكافلية في الفلسفة البراجماتية المعاصرة، مقال منشور في مجلة الأستاذ.

(٧٢) ينظر: الطويل، توفيق، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، القاهرة، مكتبة النهضة، ط١: ص٢٦٣. وينظر: أمين، احمد، ومحمود، زكي نجيب: قصة الفلسفة الحديثة: ص٦٣٢.

(٧٣) ينظر: فال: مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٠.

(٧٤) ينظر: فال، المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧٥)الصدر، محمد باقر: فلسفتنا، بيروت، دار التعارف، ط٢، ١٩٨٨: ص ١٦٥.

(٧٦) سورة الرعد: آية ١٧.

(٧٧) هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها: ص ١٦٤.

(٧٨) دوريتي، فلسفات عصرنا، مصدر سبق ذكره: ص٣٧١.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

١. إسبر، علي محمد، ماهية الوعي الفلسفي، سوريا، دار التكوين، ط١، ٢٠١٠م.

٢. أمين، أحمد، ومحمود، زكي نجيب، قصة الفلسفة الحديثة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٤، ١٩٥٩م.

٣. بدوي، عبد الرحمن ،

- مدخل جديد إلى الفلسفة، انتشارات مدين، ط١، ١٤٢٨هـ.
- موسوعة الفلسفة، ذوي القربى، ط١، ١٤٢٧هـ.

٤. برهييه، أميل، تاريخ الفلسفة، تر: جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٨٧م: مجلد الفلسفة الحديثة.

٥. ثامر، زروقي، الأخلاق عند جون ديوي، ضمن كتاب الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، مجموعة مؤلفين، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٣م.

٦. جيمس، وليم، البراجماتية، تر: محمد علي العريان، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م.

٧. دورتييه، جان فرانسوا، فلسفات عصرنا، تر: إبراهيم صحراوي، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٩م.
٨. ديورانت، ول، قصة الفلسفة، تر: فتح الله محمد المشعشع، بيروت، شركة دار مكتبة المعارف–ناشرون، ط٢، ٢٠١٧م.
٩. رسل، برتراند، حكمة الغرب، تر: فؤاد زكريا، الكويت، عالم المعرفة، ٢٠٠٩م.
١٠. الشنيطي، محمد فتحي، مقدمة ترجمته لكتاب وليم جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ط، د.ت.
١١. الصدر، محمد باقر: فلسفتنا، بيروت، دار التعارف، ط٢، ١٩٨٨.
١٢. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ذوي القربى، ط١، ١٣٨٥هـ.
١٣. طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، بيروت، دار الطليعة، ط٣، ٢٠٠٦م.
١٤. الطويل، توفيق،
- أسس الفلسفة، القاهرة، دار النهضة، ط٤، ١٩٦٤م.
- مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، القاهرة، مكتبة النهضة، ط١.
١٥. العجيلي، منصور بن عبد العزيز، البراجماتية عرض ونقد، السعودية، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والفرق والمذاهب، ط٢، ١٤٣١هـ.
١٦. فال، جان، طريق الفيلسوف، تر: أحمد حمدي محمود، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٧م.
١٧. فام، يعقوب، البراجماتزم أو مذهب الذرائع، مصر، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٦م.
١٨. فضل الله، هادي، السفسطائية بين الوجودية والبراغماتية، بيروت، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٨م.
١٩. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة، دار آفاق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م.
٢٠. كوبلستون، فردريك، تاريخ الفلسفة، تر: محمود سيد أحمد، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٩م.
٢١. محمود، زكي نجيب، حياة الفكر في العالم الجديد، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠١٣م.
٢٢. هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، تر: فؤاد زكريا، مصر، مكتبة مصر، ١٩٦٩م.